الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

خطبة جمعة

التنقيب عن الأدب بدلاً عن الذهب - العفة نموذجاً

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله الذي خلق الكائنات، وتفضل علينا بجوده والرحمات، هو الذي أرسل رسوله بالهدى والبينات، وعضده لمن أنكره بالمعجزات، أنزل التوراة والإنجيل والزبور وأتمها بالآيات، علام الخفيات، قاضي الحاجات، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماوات، مجيب الدعوات، فالق الإصباح ومبدد الظلمات، والنظر إلى الكريم نهاية الغايات، يسمع دبيب النمل وخافي الهمسات، لا تختلط عليه اللغات، يسمع ضجيج الأصوات على اختلاف اللهجات، وتعدد العبارات على تفنن الحاجات، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلّطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، ولا بدعاء الداعين، ولا باستغفار المستغفرين، ولا توبة التائبين. أحمده سبحانه حمد الشاكرين الذاكرين، وأصلي وأسلم على إمام وسيد السادات، وقائد الثقات، وعلى آله وأصحابه البررة الثقات.

عباد الله، الذهب معدن أصيل، وجوهر نفيس، وعنصر فريد، هو رنّان لفظًا ومعنى، له في قلوب الناس وقع، وفي وجدانهم مكانة، وعلى ألسنتهم عذوبة، أودع الله فيه من الخصائص والمناقب ما جعل النفوس تميل إليه وتعشقه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ...﴾.

هذا الذهب ما إن يسمع به أحد إلا ويفرح، تحبه النساء للتحلي، ويحبه الرجال للغنى، وفي سبيله سافر بعض الناس، وضربوا البيداء والصحراء، ينقبون ويبحثون عن الغنى السريع، والحياة الرغدة، والعيش الكريم الذي يغير مجرى حياتهم فجأة. في سبيل ذلك تحملوا الصعاب والمشاق، وركبوا الأهوال حتى يحصّلوا هذا الذهب؛ منهم من مات، وسمعنا أن بعضهم وجد كميات كبيرة فتغيرت حياته رأسًا على عقب، وكل أحد يروي عن الذهب روايات، في نهر النيل وفي غيرها من هذا السودان الواسع.

فسبحان من عظّم الذهب وميّزه على غيره من المعادن، وجعل له عند الناس قيمة: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ...﴾. وسبحان الذي جعل الذهب باقيًا وموجودًا في الأرض منذ أمد بعيد، والناس يأخذون من الذهب، وما انتهت خيرات الله تعالى التي أودعها وهي مستكنّة في بواطن الأرض، وهذا سيستمر إلى يوم القيامة، حتى إن في آخر الزمان تلفظ الأرض ذهبها، فيبقى الذهب على وجه الأرض، ويمر الناس في الطرقات موجودًا ولا يأخذونه، وسينزل عيسى عليه السلام، وعندها لن يأخذ الذهب أحد، وستكون الركعة خيرًا للناس من الدنيا وما فيها.

الذهب، وما أدراك ما الذهب، الذي يعشقه الناس، حتى وصف القرآن أن بعض الناس يكنزونه ويجمعونه جمعًا شديدًا ويتهافتون عليه: ﴿...يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، الآيات من سورة التوبة. لماذا يعظّم الناس الذهب؟ لأن الله أودع فيه سرًّا وخصائص، له بريقه، وله لمعانه، معدن حساس، ميزانه حساس، معدن جميل، منظره بهي، وإلى غير ذلك من المعاني الموجودة في هذا الذهب. ولكن الناس يريدون الذهب لأنهم يعلموا أن لصاحب الذهب عند الناس مكانة:

إني رأيت الناس قد مالوا إلى من عنده مال، ومن لا عنده مال فعنه الناس قد مالوا. إني رأيت الناس قد ذهبوا إلى من عنده ذهب، ومن لا عنده ذهب فعنه الناس قد ذهبوا.

وتبقى رحلة الذهب بين نهر النيل، وبين النيل الأزرق، وبين البطانة، حكاوي وقصص. ولكن ليس هذا موضوع خطبتنا، إنها مقدمة فقط. سأتحدث عمّا هو أعظم من الذهب، ويحتاج إلى بحث وسفر ومشقة وجهد أعظم من التنقيب عن الذهب، ولا سيما في عصرنا هذا. سأتحدث عمّا هو أغلى من الذهب، سأتحدث عن الذي تحيا به الأمم، وتعيش به المجتمعات، وتنهض به الشعوب، ويسمو به الرجال، وتتألق به النساء. عنوان خطبتنا: التنقيب عن الأدب، التنقيب عن الأدب بدلًا من التنقيب عن الذهب، العفة أنموذجًا.

الأدب كثير، كل الدين أدب. التجمل يوم الجمعة وستر العورة نوع من الأدب. إلقاء السلام والتحية على من تعرف ومن لا تعرف. من الأدب إحسان الصفوف، والوقوف بين يدي الباري في أدب نوع من الأدب. الأكل يحتاج إلى أدب، طريقة الأكل باليمين، هذا يحتاج إلى أدب. قضاء الحاجة. كل مفردات الدين أدب، ولكني سأتحدث عن قيمة من قيم الأدب التي تحتاج إلى تنقيب، وهي العفة.

ما العفة؟ العفة كفّ النفس عمّا لا يحل لها، وضبط النفس عن شهواتها، هذه هي العفة. ولذلك قال الإمام الماوردي رحمه الله: العفة على نوعين: عفة عن المحارم، وعفة عن المآثم. أما العفة عن المحارم: أن تحفظ فرجًا، وأن تكفّ اللسان، من فعل هذا كان في قمة العفة. «من ضمن لي ما بين فكيه وما بين فخذيه ضمنت له الجنة». ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾، ﴿...وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ...﴾. والعفة عن المآثم: أن تكفّ عن المجاهرة بالظلم، هذا نوع من أنواع العفة، وألّا تُسرّ الخيانة. فمن اجتمع فيه هذان الشرطان من العفة فقد استكمل العفة كلها.

العفة التي أمر القرآن بها: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ...﴾. وسبحان الله، من تأمل منهج الإسلام يجد أنه يحث الشباب، لأنهم في وش المدفع، ولأنهم أقرب إلى الانحراف. ولكن الأمر يزداد سوءًا لما تسمع عن رجال كبار متزوجون ضاعت العفة من حياتهم، وهذا ما لا يعقل، وما لا يستقيم أبدًا. «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج»، الحديث كله للشباب، لأن في ذلك الزمن لا يوجد رجل متزوج يبحث عن الحرام.

ولذلك جئنا نبحث عن الأدب، وننقّب عن العفة، في عصر اختلط فيه الفضاء، فدخل على الأمة ما ليس منها، وهذا سوف أوضحه في حديثي عن صور ضياع العفة في المجتمعات المسلمة.

لماذا أتحدث عن العفة؟ هل لأن العفة قد فُقدت أو كادت أن تُفقد؟ الزنا شدد الإسلام في إثباته، من الصعب أن يثبت إلا بأربعة شهود، وهذا نادر. الإسلام يريد أن يصون الأسر، ويريد أن يحفظ المجتمعات، ويريد أن يحمي الكرامة. وبالتالي العفة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم، والحديث في مسلم: «اللهم إني أسألك الهدى والغنى والعفاف والتقى». العفاف: العفة. وسوف أحدّث عن بعض نماذج وصور العفة، لعلها تبيّن للناس ما معنى العفة.

العفة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما أخشى عليكم مضلات الفتن، وشهوات الغي في البطون والفروج». وصدق صلى الله عليه وسلم، الرجل ضعيف أمام المرأة، والمرأة تميل إلى الرجل فطرة، والإسلام قنّن هذه العلاقة بأن جعل لها بابًا واحدًا وسبيلًا واحدًا، وغيره موصد ومغلق: السبيل أن تطرق، وأن تطلب الزواج، وإن لم تكن قادرًا أن تبعد عن ذلك تمامًا.

العفة، والتنقيب والبحث عن العفة، صور ونماذج للعفة، لعلها تحيي المجتمع، ولعلها تحيي الناس. الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه، الصحابي الجليل، تزوج بعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، عاتكة بنت زيد بنت عم عمر بن الخطاب، وكانت تحت عمر رضي الله عنه، كان متزوجًا بها عمر بن الخطاب. لما توفي عمر وترمّلت، تقدم إليها الزبير بن العوام بعد عدتها ليتزوج بها، فاشترطت عليه شرطًا، قالت له: أنا امرأة أرتاد المساجد. إلى يومنا هذا في نساء عندهم تعلق شديد بالمساجد، تحب أن تصلي الصلوات في المسجد. فإن أذنت لي تزوجتك، فأذن لها، وصارت تذهب إلى المسجد.

بعد فترة من الزواج غار الزبير بن العوام، ومعروف بين الصحابة أن الزبير رضي الله عنه كان شديد الغيرة، كان يغار غيرة شديدة. هي متفقة معه، ولا يستطيع أن يمنعها المسجد، فتخبّأ لها خلف شجرة في الظلام وهي ذاهبة إلى صلاة العشاء، فغمزها في خصرها، هي امرأته، والدنيا ظلام، وهي لا تدري، ثم جرى، وكان متلثمًا. فلم تذهب إلى المسجد، رجعت إلى البيت، فلما جاء الزبير قالت: يا زبير، فسد الزمان، الزمان فسد. قال: وما ذاك؟ قالت: غمزني رجل وأنا في طريقي إلى صلاة العشاء، والله لا أخرج من بيتي بعد هذا أبدًا. ومكثت في بيتها. لكنها عفة عجيبة، عفة عجيبة، لما تقارن هذا ببعض الصور، كما سوف يظهر.

من الذي علّمهن الجرأة؟ إنها الحركات النسوية وأصحاب الجندر: أنتِ لم تُخلقي للمطبخ، أنتِ لم تُخلقي للبيت. يا أخي، يا أخي، ضيعتونا، وضيعتوا أخلاق الأمة، وضيعتوا الشباب، وضيعتوا القيم، وضيعتوا كل شيء. يقول لك: المرأة، نحن نحي المرأة! جيب لي فيلسوف يعارض القرآن، جيب لي مفكر عظيم يلغي الآية، ستظل الآية باقية إلى يوم الدين.

في سورة الأحزاب، التي وردت فيها العفة مع سورة النور، وفيها: ﴿...وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ...﴾، فيها: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ...﴾. وفي النور، شف العفة: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ

مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ...﴾، امرأة أيست وصارت حبوبة كبيرة، لو لبست الحجاب واتغطت أحسن ليها: ﴿...وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، الآية ستين من سورة النور.

جرأة المرأة، تتضاحك مع الرجال في الشارع، تضحك عادي، تاكل آيسكريم وهي تتمايل في الطريق عادي، تاكل فتة الفول في البقالات مع الأولاد عادي. يا أيتها العفة، نحن نحتاج إلى من يبحث عنكِ وينقّبكِ، كأولئك الذين ذهبوا إلى نهر النيل وتعرضوا لرصاص الشرطة وهم ينقّبون عن الذهب. نحتاج إلى من ينقّب عن الأدب. نعم، الذهب يفيد المرأة: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾، نعم، هذا للمرأة، ولكن أجلّ ما تتحلى به امرأة أدب، وسمت ووقار، وصوت منخفض تتكلم به، وحياء يدثّرها، وحجاب يزينها.

الأنموذج الثاني: عائشة أم المؤمنين، قالت: دُفن النبي صلى الله عليه وسلم في حجرتي، فلما مرض أبي استأذنني، البيت بيتها، ولا يحل لهم أن يدفنوا إلا بإذن منها، استأذنني أبي في أن يُدفن في حجرتي بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأذنت له. فلما مرض عمر، وضُرب وطُعن، أرسل إليّ وأنا في بيتي يستأذنني في أن يُدفن بالقرب من صاحبيه، وكنت قد ادّخرت هذا لي، قررت بيني وبين نفسي إنه تموت يدفنوها هنا، مع زوجها ومع أبيها، لكن لم يكن لها بُد أن ترد طلب عمر رضي الله عنه، فأذنت له. قالت: لما دُفن الرسول صلى الله عليه وسلم كنت أدخل الحجرة وأتخفف في ثيابي، ولما دُفن أبي كنت أقول: إنما هو زوجي وأبي، فأتخفف في ثيابي، فلما دُفن عمر ما دخلت الحجرة إلا محجّبة، حياءً من عمر وهو ميت.

في ناس أقوياء تخاف منهم وهم ميتين، تحترمهم وهم ميتين.

«المرأة عورة، إذا خرجت استشرفها الشيطان». يعني الحديث ده عجيب، أي تخرج من بيتها، الشيطان يريكها في عينك كأجمل من النساء، وقد تكون أقبح من زوجتك التي في بيتك، ولكن تأبى النفس الدنيّة إلا أن تتعلق بها. حكمة الله! ده كلام نبوة يا أخي. المرأة إذا خرجت استشرفها الشيطان، يعني بيجمّلها ليه. الناس بيعاينوا ليه، وبيكونوا بينظروا لها نظرة عجيبة. يا أخي، انت ما عندك زيها في البيت؟ ما في فرق، ما في فرق، لكن في الشارع عندها في نفوسهم وقع، لأن الشيطان يكون على رأسها، كان غير جميلة يبديها لك أنها جميلة.

نائلة بنت الفرافصة الكلبية، آخر زوجات أمير المؤمنين، العفيفة الطاهرة، الحيي عثمان ذو النورين رضي الله تعالى عنه، كانت زوجته. ولما دخل عليه المجرمون الدار وضربوه، وهو فوق الثمانين، عاجز، نائلة موجودة، جرت تدافع عن زوجها، فسقط خمارها، فقال عثمان ودمه يسيل: احتجبي، لقتلي أهون إليّ من أن يروا

منك شعرة.

أين الآباء الذين يرون في تبرج بناتهم رقيًّا وحضارة وتقدمًا؟ أين الأزواج الذين يسمحون لزوجاتهم التكشف في كامل الزينة في مناسبات الزواج والأفراح؟ ويوجد برنامج في التلفزيون لنقل مثل هذه الأشياء. بالله دي أمة؟ الكلام ده وين من العفة؟ ده عفة ولا عدم عفة؟ خليكم واضحين وصريحين، ده عفة ولا عدم عفة؟ ده عفة؟ ممكن ده يكون عفة؟ يا أمة محمد عليه الصلاة والسلام، يا أمة عاتكة، ويا أمة عائشة، ويا أمة بنت الفرافصة الكلبية، يا أمة الأمجاد، أين العفة؟ هذه عفة؟

ولما نأتي ونتحدث عن صور غياب وضياع العفة، أنا، والله يعلم، لا أريد أن أصور المجتمع بأنه مجتمع منهار ولا عفة فيه. أعلم أنه توجد عفة، نساء محجبات، وبيوت محترمة، وأسر محافظة، وآباء وأزواج غيورون يغارون على أعراضهم، وهذا كثير والحمد لله. ولكن هذا التفلت الذي بدأ يظهر ولا يشبهنا ينبغي أن نكون جميعًا حربًا عليه، وإلا سنفقد العفة. وقد جعلت عنوانًا رئيسًا في الخطبة سميته: صور تهزم العفة وتهدم الفضيلة، صور بتهزم العفة وبتهدم الفضيلة، سوف أتحدث عنها بعد قليل.

عبد الله بن المبارك، تاجر من التجار، وعالم من العلماء، وإذا كان العالم تاجرًا والتاجر عالمًا هذا مؤشر على صلاح المجتمع، وعلى أنه مجتمع صالح. عبد الله بن المبارك جاءته امرأة شابة تسأل، بتشحت في السوق. هو الدكان حقه مشغّل معاه الصبيان الأجرة، يعني وقت ما يطرده، ما في. هذا المحل هو قاعد في محل إدارة، شاب ببيع، وشاب قاعد في الخزنة اللي هو بيقبض، يشتري من ده ويدفع ليه داك الماسك القروش. ابن المبارك أشّر ليه، عالم ما بيتكلم كتير، أشّر له، قال له: أعطها. الحق ما حقه، لازم الحق يوريه كم، قال: كم أعطيها؟ ما بيتكلم، أشّر بإصبعيه. قال: درهمان؟ قال: مائتا درهم. الدرهم زمنّا ده بيساوي ستين ألف، ميتين درهم تقريبًا اتناشر مليون، مبلغ كبير. الرجل الشاب عدّ وداها، شالت. قال: يا شيخ، هذه سائلة محتاجة، تريد الشيء اليسير. قال: رأيت شابة تمد يدها، فخشيت أن تحملها الحاجة على فعل ما أكره وتكره، فأردت أن أعفّها. أين الذين يُعفّون؟ أين الذين يُعفّون؟

صور تهزم العفة وتهدم الفضيلة. أول صورة: ما يعرف بالخيانة الزوجية. ومن خلال الفتاوى التي أسمعها من الرجال والنساء عرفت أن كثيرًا، أو أن بعض الرجال، متزوج وعلى علاقة بأخريات، والزوجة تعرف ذلك من المكالمات الغريبة والمريبة، التي تكون أحيانًا في وقت السحر، وتكون في جوف الليل. والعكس قد يحصل،

وهذه مشكلة، مشكلة، مشكلة كبيرة. غاية خلاصة ذلك: من يفعل هذا مريض، رجلًا كان أو امرأة. الصورة الأولى المريبة.

الصورة الثانية: تفشي وانتشار ما يعرف بالأفلام الرديئة والصور الخليعة، إما في الجوالات، وإما في أجهزة الحاسوب، وإما في أسطوانات، وإما حتى في الصحف. بعض الصحف متخصصة في مثل هذه الصور، بعض الصحف حتى السياسية لا بد أن تكون هنالك صفحة فنية، فيها الممثلة الأمريكية الفلانية مصورة عارية، يتحدثون عن أخبارها. أين العفة؟

ثالثًا من صور ضياع العفة: ما يُرى في الشارع من الزي الفاضح والتعري واللبس الخليع. وإن الواحد ليتساءل: كيف خرجت هذه أولًا من بيتها؟ كيف خرجت من بيت أبيها وأمها؟

رابعًا: ظهور ما يعرف ويسمى بالزواج العرفي، ورقة بيناتهم، وليس هذا بزواج. طالب في الثانوي قد يتزوج بطالبة في الثانوي عرفيًّا دون علم آباء الجهتين، علم آباء وأمهات الطالب أو الطالبة.

أسأل الله جل وعلا، وأبتهل إليه بأسمائه وصفاته، أن يحفظنا، وأن يسترنا فوق الأرض وتحت الأرض، إنه ولي ذلك والقادر عليه، نعم المولى ونعم النصير.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

الصورة الأولى: الخيانة الزوجية، وهي من المتزوجين أقبح وأسوأ، لأنه لا مبرر لها. ثانيًا من صور هدم العفة: تفشي الصور الخليعة والأفلام الرديئة، حتى، خاصة أوساط الشباب، في الجامعات، في الثانويات، الطالب الذي يأتي بهذه الصور يريها أصحابه يتفرجون عليها. وكم امرأة اتصلت وقالت إنها وجدت في الجهاز المحمول، اللابتوب، لزوجها أشياء خليعة، حتى إنها لم تصدق هذا. وتفشي وانتشار ما يعرف بالزواج العرفي. التعري الموجود في الطرقات والشوارع عيانًا.

وخامس هذه الصور، قد تعرضت لها في أثناء الخطبة: الجرأة في ارتكاب المنكر، الجرأة في الفساد. الزول لو بيفسد ويقول: الله يتوب علينا، ربنا يرحمنا، ادعوا لنا ربنا، لما يكون الفساد جرأة موجودة هكذا في الشوارع، شاب يمسك بيد شابة، بكونوا دايرين يتونسوا ويقطعوا الكبري وماسكها من يدها. يا أخي، هي لو زوجتك ما

تمسكها من يدها في الشارع، لأنه هذا مريب. يا أخي، الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم خرج من المسجد مع زوجته صفية، ويمشي بالقرب منها، لما مر أناس قال: «إنها أمكم صفية»، عشان ما يدخل الناس في شك.

تلقاهم ماسكين كده، كويس؟ ماسكها من يدها، عادي جدًا. المنظر ده هو في جهة، والعفة في جهة مغايرة. بالرغم من ذلك، لو أنك تكلمت غلّطك الناس، لو أنك نصحت أو أمرت أو تضجّرت نصحك الناس، وخاصة إذا كانت لك لحية. يقول لك: وعامل دقنك دي! ينط لك في رقبتك ويقول لك: يا مولانا، بالحكمة! طيب انت بتعرف الحكمة، امشي كلّمهم انت بالحكمة، انت الفاهم الفيلسوف النجيب، بتعرف الحكمة هاي؟ امشي خليه يفكها بالحكمة، بالحكمة خليه يفكها. ماسكها من يده وماشيين، عادي جدًا. تلقاهم قاعدين في النجيلة ملصقين، عادي جدًا.

نحنا ذاتنا قلوبنا ماتت، صار المنظر لا يهزنا، ولا يغيرنا، ولا يعنينا. ولكن عذاب الله إذا جاء لا يميّز: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. قالت: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث». إذا كان الصالحون منزوين في المساجد، مقيمين للشعائر التعبدية فقط، يُسقطون شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سيعمّهم العذاب إذا نزل العذاب. نسأل الله أن يرفع عنا البلاء والوباء والغلاء والعذاب، وألّا يعاقبنا بما فعل السفهاء منا.

كيف نحيي العفة؟ أختم بكلمات: كيف نحارب الرذائل ونحيي الفضائل؟ كيف نحيي العفة؟ قناعتي الراسخة أن العفة في المقام الأول تربية، تبدأ من الأسرة، من البيت الصغير. أنت تربي الطفلة على أن هذا عيب، وعلى أن هذا لا يصح، وعلى أنها تحتشم، وألّا تختلط شديدًا بإخوانها، أشقائها، وهي طفلة. «وفرّقوا بينهم في المضاجع»، وهم أشقاء، وهم أشقاء. الولد والولد ما ترقدوهم سوا. ده أول شيء.

الشيء الثاني، بصراحة وبغير مواربة: لم أجد أفسد للشباب والأسر من الفضائيات غير المنضبطة، داخل غرف النوم، وداخل الصوالين، وداخل الهول، وداخل البيوت، إنهم يطبقون ما يسمعون وما يرون.

ثالثًا: أتريدون العفة؟ الشرع جاء بسد الذرائع وحسم مادة الفساد: النظر حرام، الاختلاط حرام، سفر المرأة بغير محرم حرام. اسمعوها، اسمعوها! ما تقول لي فتاوى عصرية، وعلماء مرنين، وفقهاء عصريين ما مشددين. سفر المرأة بغير محرم حرام، دين إلى يوم القيامة. أكلمكم: الرسول الواحد اللي ربنا رسله دا قال: «لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم». ما تقولي رحلة علمية، وماشيين ماليزيا، ومعاها أساتذتها. كلام واضح.

الشرع، شفت الناس يوم ما يفرّطوا في الشريعة يجيهم من البلا، يتركوا إقامة الحدود يأتيهم من البلاء ما الله به عليم، يفرّط في الشريعة. «إياكم والدخول على النساء». ما في حاجة اسمها ولد الجيران يجي خاش ويتونس، ويطلعوا معاه، وخليه يشتري ليكي، وعازمة صاحبها في البيت. يا ناس، يا ناس، والله لا يجوز. يا أخي دي فطرة، دي فطرة. يقول لك: يا أخي، أنا بثق في بتي. يا أخي، نعم بتك طيبة، لكن الشيطان، كذا قال لك: «ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان...». هو ما داير يفسد، وهي لا تريد أن تفسد، ولكنه يأتي بعدُ الفساد، والكلام يجر الكلام. ولم يقل ربنا: لا تزنوا، قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا...﴾، ﴿...وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ...﴾. إنها بعض السبل، وبعض الوقاية، وبعض العلاج لقضية عظيمة، الموضوع لم ينته بعد.

أسأل الله جل وعلا، بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وبعلمه الغيب، وبقدرته على الخلق، أن يحبب إلينا الإيمان، وأن يزينه في قلوبنا، وأن يكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرّجته، ولا عسيرًا إلا يسّرته، ولا كربًا إلا نفّسته، ولا مبتلى إلا عافيته، ولا مريضًا إلا شفيته، ولا مظلومًا إلا أيّدته، ولا ممتحنًا إلا نجّحته، ولا أيّمًا إلا زوّجته، ولا غائبًا إلا حفظته، ولا مسافرًا إلا رددته، ولا ميتًا إلا رحمته، ولا حاجة من حوائج الدنيا لك فيها رضا ولنا فيها صلاح إلا أعنتنا عليها برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك...

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/التنقيب-عن-الأدب-بدلاً-عن-الذهب-العفة/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com